منظورات جديدة للجريمة السيبرانية

تيم أوين، واين نوبل، فايي كريستابل سبيد

New Perspectives on Cybercrime

By: Tim Owen, Wayne Noble, Faye Christabel Speed Palgrave Studies in Cybercrime and Cybersecurity, 259 PP., 95,19 €, 2017, ISBN: 9783319538563

عرض: إيهاب خليفة، رئيس وحدة التطورات التكنولوجية بمركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

أصدرت وحدة أوكلان لأبحاث الجريمة السيبرانية، بجامعة سنترال لانكشاير في المملكة المتحدة، كتاباً بعنوان "منظورات جديدة للجريمة السيبرانية" في عام 2017، وشارك في إعداده كل من الدكتور "تيم أوين"، والذي يعد واحداً من أهم محاضري علم الجريمة بالجامعة نفسها ويرأس وحدة أوكلان، والدكتور "واين نوبل" والدكتور "فايي كريستابل سبيد" المحاضرين في مجال علم الجريمة بهذه الجامعة أيضاً.

التنبؤ بالجريمة «السيبرانية»

يؤكد هذا الكتاب أنه لابد من الاستفادة من الثورة التي حدثت في مجال علم الأعصاب، والتي تركز على دراسة الدوائر العصبية للإنسان، حيث إنها تشكل الإرادة الحرة للفرد وتؤثر على تصرفاته، بالإضافة إلى ضرورة التعمق في دراسة العوامل البيولوجية والاجتماعية والنفسية للمجرمين؛ إذ يؤكد اتجاه حديث أن العديد من الجرائم مرتبط بالاضطرابات النفسية وصعوبات ضبط النفس، والتي تتراوح من اضطراب نقص الانتباه إلى إدمان العقاقير والمخدرات، وهو ما يمكن أن يفيد في إنشاء إطار جديد لفهم علم الجريمة بصورة عامة والجريمة السيبرانية بصورة خاصة.

ويفترض علم الاعصاب بأن الدماغ البشري يعمل بآلية محددة، وهذه الآلية هي التي تحدد تصرفاتنا وسلوكنا وتوقعاتنا، حتى لو لم ندرك ذلك، وأن إرادة الأفراد واعية وحرة في اختياراتها وليست عفوية ومقيدة، ومن هنا يكون أسلوب "الاستدلال السببي" وسيلة مهمة لدراسة قرارات الأفراد وتفسير تصرفاتهم ودوافع اتباع الفرد سلوكاً معيناً حتى لو لم يدرك ذلك أو ادعي أنه انتهج هذا السلوك من دون قصد، فهناك مجموعة من العوامل التي أثرت على وعيه ودفعته لاتخاذ قرار معين.

ويحاول هذا الكتاب فهم الأساس العصبي لعملية اتخاذ القرار والإرادة الحرة للأفراد، والتي تفسر اندفاع البعض نحو القيام بارتكاب جريمة معينة مقابل تردد البعض الآخر أو امتناعهم، ويقدم إطاراً يمكن استخدامه للتنبؤ بالعنف عبر الفضاء الإلكتروني أو العنف السيبراني، يسمى هذا الإطار "النموذج الوراثي - التنبؤي للعنف السيبراني".

انتشار الجرائم الإلكترونية

يسعى الكتاب لتطبيق هذا المنهج على الجريمة الإلكترونية، حيث يتناول ثلاث قضايا رئيسية هي "القانون والنظام في الفضاء الإلكتروني"، "الجنس والانحراف في الفضاء الإلكتروني"، و"الهوية في الفضاء الإلكتروني"، ويأتي القسم الأول في أربعة فصول تتطرق إلى التطورات الجديدة في مجال علم الأعصاب والاستفادة منها في تطوير علوم الجريمة.

ويدرس القسم الثاني العوامل البيولوجية والاجتماعية التي تدفع بعض الأفراد للقيام بجرائم جنسية على الإنترنت، وبصورة خاصة تلك المتعلقة باستغلال الأطفال، مستعرضاً مراحل الإنتقال من الحيز الخاص في مجال الاستغلال الجنسي إلى الحيز الافتراضي على الإنترنت.

ويتناول القسم الثالث بعض الظواهر الخطرة التي انتشرت عبر الفضاء الإلكتروني، والتي اتسع نطاقها من تهديد الأفراد إلى تهديد الأمن القومي للمؤسسات والدول الكبرى، مثل ظاهرة الإرهاب الإلكتروني، ويحاول المؤلفون في هذا الجزء الاستفاضة في شرح النموذج الذي قاموا بإعداده ومدى صلاحية تطبيقه على علم الجريمة، وبصورة خاصة على الجريمة السيبرانية.

فالانتشار المتزايد للإنترنت وأجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية، والاعتماد الكبير على هذه التقنيات في مختلف مجالات الحياة اليومية، قد أعطى فرصة كبيرة للمجرمين، أفراداً ومنظمات، لارتكاب المزيد من الجرائم، مستغلين الطبيعة التي يتميز بها الفضاء الإلكتروني من إخفاء الهوية وصعوبة تعقب مصدر الجريمة، في سرقة الأموال وحقوق الملكية الفكرية والتحرش الجنسي والابتزاز وممارسة العنف بكافة أشكاله.

كما يتطرق الكتاب أيضاً إلى بعض ملامح الجرائم التي يرى أنها لم تدرس بشكل متعمق، ومن الأمثلة على ذلك سلوك المستخدمين على مواقع التواصل الاجتماعي، والتي وصلت إلى مرحلة الإساءة والسب والقذف في بعض الأحيان، مع التأكيد أن مواقع التواصل الاجتماعي لها وجه ديكتاتوري مثلما لها وجه ديمقراطي، فحرية الرأي والتعبير لبعض الأصوات على الشبكات الاجتماعية تعني إسكات بعض الأصوات الأخرى، ومن هنا طالب الكتاب بوضع قواعد أخلاقية لاستخدام الشبكات الاجتماعية.

وفي النهاية، يرى الكتاب أنه من المستحيل فهم الجريمة السيبرانية بكافة أبعادها من دون التوسع في فهم المتغيرات البيولوجية والاجتماعية والنفسية للمجرمين أنفسهم.